تعليق على سورة (ق)

لفضيلة الشيخ العلامة
صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ
حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد

إعداد
عادل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد :

فما اشتمل عليه كلام الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى هنا واضح من أن سورة ق هي أول المفصل .
وقيل إن أوله سورة الحجرات وسورة ق :
اشتملت على موضوعات عقدية ففيها إثبات البعث .
وفيها إقامة الحجة على أن هذا القرآن حق من عند الله جل وعلا في أوله . وفيها التنبيه على آيات الله جل وعلا في الآفاق ، وفي الأرض ، وفيها ذكر نهاية الإنسان بالموت ، والسوق إلى الجنة أو إلى النار ، وفيها بعث الأجساد بعد فناء الدنيا ، إذا أذن الله جل وعلا بقيام الناس لرب العالمين . فسورة ق فيها أصول من أصول الإيمان ، من الإيمان بالكتاب ، والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالرسل ، والإيمان بالبعث بعد الموت ، وفيها أيضاً الإيمان بوحدانية الله جل وعلا في ربوبيته وفي إلاهيته .
فإذا أركان الإيمان أغلبها في هذه السورة . وهذه أكثر السور المكيَّة فيها ذكر أركان الإيمان ، وتأصيل ذلك وتقريره ، وإقامة الأدلة عليه . وهذا سيأتينا واضحاً إن شاء الله تعالى فيما سنقرأ ....

بسم الله الرحمن الرحيم
 قّ* والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب * ءإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد * قد علمنا تنقص الأرض

منهم وعندنا كتاب حفيظ * بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج .
ق : هذا حرف من أحرف الهجاء . مثل آ لم . ألف حرف ولام حرف وميم حرف . ومثل ص . ومثل ن . كلها أحرف الهجاء العربي ، أحرف الكلام العربي وفي مجيئها في أول السور مذاهب لأهل العلم وتتلخص هذه المذاهب في اثنين : الأول : أن لها معنى .
والثاني : أن معناها بالإشارة والتنبيه .
فالأول : منهما أن لها معنى في نفسها . والثاني أن لها معنى لكن بالإشارة والتنبيه
والأقوال فيها كثيرة تبلغ اثني عشر قولاً يمكن أن تقسمها على هذين القولين ، فمنها أنها مختصرة من كلمات ، وهذا هو أن تكون لها معنى في نفسها . فمثلاً معنى ق : قف لأمر جلل عظيم كما قال الشاعر :

قلت لها قفي قالت : ق لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

قلت لها قفي قالت : ق يعنى وقفت فقاف تكون اختصار لكلمة ولهذا قال ابن عباس وغيره فيما روى عنه أن هذا الأحرف هي لها معنى من جهة أنها بعض أسماء الله جل وعلا ، فقاف . يكون اختصار لأحد أسماء الله . و (الـم) هذا اختصار لبعض أسماء الله ، وص هكذا . في تفاصيل لهذا القول .
القول الثاني : أن لها معنى ولكن بالإشارة والدلالة وذلك أن هذا الحرف من حيث هو حرف هجائي ليس ظاهراً معناه في نفسه وإنما الحرف الهجائي معناه إذا ركب مع غيره في كلام مفهوم ، أو في

كلمة مفهومة تدل على ذات أو معنى ، أما هو فليس له معنى في نفسه ، وإنما قد يدل على شيء ففي أوائل السور المقطعة . أوائل السور بما جاء في الأحرف المقطعة . قال طائفة من أهل العلم . هذه الأحرف المقطعة هي إشارة إلى أن القرآن كلماته وآياته من هذا الأحرف التي ق واحد منها ، من أحرف الهجاء . الذي ق واحد منها والذي ا لّمّ منها ، والذي ص منها ، والذي يسّ منها ، وإذا كان كذلك فهذا القرآن كلام مؤلف من أحرف الهجاء المعروفة التي يستعملها العرب في إنشاء قصائدهم وإنشاء خطبهم التي يتفاخرون منها ، فإذا ليس مكوناً أو ليس مؤلفاً من أحرف غريبة عنهم ، فإذا إذا كان كذلك فليأتوا بمثل سورة منه ، أو بمثل عشر سور مثله مفتريات . أو فليأتوا بمثل هذا القرآن . لا يمكن أن يكون ذلك لأنه كلام الله جل وعلا ، ويدل على هذا القول الذي هو أصوب الأقوال وأصحها بالاستقراء ، والاستقراء إذا كان تاماً أو إذا كان أغلبياً فإنه حجة عند العلماء الأصول كما هو معروف ، فإذا استقرأت السور التي بُدِأت بالأحرف المقطعة وجدت أنها جميعاً يكون بعد الحرف المقطع أو الأحرف المقطعة في أولها ذكر القرآن وهذا للتنبيه على المعنى الذي ذكر .

 ا لّمّ ذلك الكتاب لا ريب فيه   ا لّمّ الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب   المصّ كتاب أنزل إليك   ا لّر كتاب أُحكمت آياته   قّ والقرآن المجيد   يّس والقرآن الحكيم   طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

وهكذا فكل سـورة فيها ذكر هـذه الأحـرف المقطعة يأتي بعـدها إما مباشـرة أو بعد شـيء ذكر القـرآن ، يدل على صحة هذا القول .
وهو أن هذه الأحرف المقطعة بُدِأت فيها السور لتكون دلالة على أن هذه السور مؤلفة من أحرف من جنس الأحرف التي تنظمون بها كلامكم وتعجزون عن الإتيان بمثل سورة من هذا القرآن .
يعنى أن الأخذ عن أهل الكتاب أو التحديث عنهم ، أو ما يسمى بالإسرائيليات فإنها أربعة أقسام :
القسم الأول : ما جاء في شرعنا فهذا في شرعنا غنى عما عند غيرنا ، وإذا أورد ما عند أهل الكتاب مؤيد لما في شرعنا فهذا من قبيل الاستزادة والشواهد .
والثاني : ما جاء شرعنا بخلافه ، وهذا لا يجوز التحديث عن أهل الكتاب فيه لأنه إذا كان ما عندنا خلاف ما عندهم فالحق هو ما في القرآن وفي السنة لأنها ناسخة ما قبلها ، ولأن القرآن مهيمن على ما قبله .
الثالث : أن لا نصدق ولا نكذب في حديث لم يأت في شرعنا ما يوافقه ولم يأت أيضاً ما يخالفه ، وإنما هو كالتفصيل لشيء أو التفسير لشيء جاء في القرآن ولكن ليس عندنا إبطال في هذا وليس عندنا الرد عليه ولا إثبات ذلك الذي قالوه فهذا هو الذي جاء فيه قول النبي عليه الصلاة والسلام (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) وقال ((إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)) يعنى في هذا القسم الذي لا نعلم لأنه جاء بشيء لم يأت عندنا تصديقه ولا تكذيبه .

القسم الرابع : هو الذي ذكره الشيخ الحافظ بن كثير هنا ، وهو ما تحيله العقول حدثونا بشيء تحيله العقول ، وهذا كثير في القصص والحكايات فيها جمل نقول باطلة حصراً لا يمكن أن يكون ذلك منها ما روى عن كتب بني إسرائيل أو عن بعض علمائهم أن (ق) جبل محيط بالأرض ، وهذا راج عند العوام حتى في عوام نجد بعضهم يقول : جعلك الله من وراء ق ، يعنى متصورون ، يعنى أنهم متصورون أن ق محيط بالأرض وما بعده إلا هواء يعنى بيطيح ما أدرى وين بيروح ، وهذا باطل لأنه تحيله العقول ، أولاً أن يكون جبل محيط بالأرض لأنه ما شوهد هذا الجبل الناس راحوا حتى في الزمن الأول راحوا من نقطة ورجعوا إلى النقطة نفسها وفي الزمن هذا ظهر ذلك . ويدل على بطلانه ، أن الله جل وعلا بيَّن أن الأرض كرة في قوله جل وعلا يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وأجمع العلماء على كريَّة الأرض وهذا فيه الإبطال لهذا القول ، المقصود الفائدة من أن من أحوال الإسرائيليات ما تحيله العقول ، فهذا يرد ولو كان لم يأت في شرعنا . فلا يدخل في قوله عليه الصلاة والسلام ((لا تصدقوهم ولا تكذبوهم)) أو ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)) لأن قوله ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)) بشرط أن لا يكون في شرعنا ما يخالفه ، وبشرط أن لا يكون مما تحيله العقول فإذا كان مما تحيله العقول فلا يجوز التحديث به إلا مع بيان بطلانه .

س :

ما هو بظاهر لا , لأن ذاك القسم هو الواضحات فيه أشياء واضحة جاء النص بخلافها يعنى بما يقابل ما قالوه بنص واضح ، لكن مثل هذه فقه : يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قد ما ينتبه لها كل أحد .

رواية علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس أوثق من غيرها ، لأن علي بن أبي طلحة أخذ التفسير عن مجاهد مكتوباً في تفسير ابن عباس ، ومجاهد عرض التفسير على ابن عباس ثلاث مرات يسأله على كل آية ولذلك أهل الحديث يرجحون رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس على غيرها ، واعتمدها البخاري رحمه الله فيما يعلق عن ابن عباس في صحيحه في كتاب التفسير من صحيحه وفي غيره ، وقد قال الإمام أحمد : إن بمصر صحيفة في التفسير يرويها علي بن أبي طلحة لو رحل إليها رجل ما كان كثيرا ، فهي الصحيفة الصحيحة في التفسير عن ابن عباس .

أُعلَّت رواية علي عن ابن عباس بأنها منقطعة . لأن علي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس وقالوا : هي وجادة . وهذه الوجادة منقطعة لأنه لم يرو هذه بالإسناد ، قال الحفاظ كابن حجر وغيره ثبت أن الواسطة بين علي وابن عباس مجاهد فإذا ثبتت الواسطة فلا ضير لأن علي عن ابن عباس بينهما مجاهد ويختصر فلا يذكر مجاهد ، لأنها وجادة فلا يعد هذا تدليساً أو إسقاطاً لراوٍ مع الحاجة إلى ذكره لأنها وجادة ، وكما تعلمون أن السلف يتوسعون في الوجادات ، وهى الروايات التي توجد مكتوبة في

صحيفة ويعرف خطها ونحو ذلك بشروطها المعتبرة عن أهل الحديث .
المقصود هذا وجه رد الرواية الأولى رواية ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس وترجيح الرواية الثانية لأن الثانية رواها علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وأيضاً مجاهد روى عنه ما يوافق ذلك ، ومجاهد هو الذي عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات ، وهذا من أوجه الترجيح في التفسير بين الروايات أن تنظر إلى الرواية مع الرواية الأثبت عن المفسر من الصحابة أو من التابعين تنظر إليها من جهة الرواية من جهة الإسناد التفسيري لأن النظر في أسانيد المفسرين يختلف عن النظر في أسانيد المحدثين ، والثاني من جهة اختصاص المفسر من الصحابة أو من التابعين لمن روى عنه فلكل واحد من يختص به ، ومن ينقل التفسير عن الصحابة أو عن الواحد من التابعين أو عن الواحد من الصحابة تختلف مراتبهم فبعضهم تكون مرتبته عليا في نقل التفسير وبعضهم متوسطة ، وبعضهم أقل فعند التعارض في الروايات ترجح الراوية التي تكون أثبت من هذه الجهات التي ذكرت ، تارة يكون الترجيح غير متيسر وتكون الروايات كلها صحيحة فنرجع إلى تعدد الروايات ، كما يقال عن ابن عباس فيها قولان : روايتان في التفسير أو عن مجاهد فيها قولان : ونحو ذلك كما تراه في تفسير ابن جرير أو في زاد المسير لابن الجوزي وفي نحوهما .
هذا القسم وجواب القسم هذا كثير في القرآن لكن ننبه إلى أن القسم لابد له من جواب ، ما معنى جواب القسم ؟ يعنى الشيء أو المعنى الذي من

أجله أُقسم لأن المرء في كلامه المعتاد إذا أقسم فإنه يقسم على شيء يعنى لإثبات شيء ، لتأكيد شيء هذا الذي من أجله يقسم والله جل وعلا في القرآن أقسم ويقسم لتأكيد شيء ، وهذا الشيء الذي يراد تأكيده بالقسم هو الذي يسمى جواب القسم ، تارة يكون لفظاً وتارة يكون معنى ، من اللفظ قوله جل وعلا يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين هذا قسم بالقرآن . لم أقسم ؟ للتأكيد على رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، ومن المعنى ، يعنى يأتي القسم لإثبات معنى وهو ما يدل عليه السياق مثل سورة ق وسورة ص مثل ما ذكر ابن كثير هنا ، وهذا ظاهر في أقسام القرآن من علوم القرآن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

قول الله جل وعلا : أ فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج
من القواعد المقررة في التفسير أن الاستفهام الذي يكون في القرآن تارة يكون على حقيقته ، يعنى لطلب الفهم ، وتارة يكون استفهام إنكار ، وتارة يكون استفهام توبيخ ، وتارة يكون استفهام توبيخ وإنكار معاً .
والاستفهام الذي على بابه يعنى أن يكون لطلب الفهم هذا واضح وهو أن يكون السائل يريد فهم الجواب ، كقوله قالوا أءنك لأنت يوسف وأما

الاستفهام الإنكاري فضابطه أن يكون ما بعده مبطلاً يعنى لو أزلت الاستفهام وأتيت بالكلام بدون الاستفهام لكن كلاماً باطلاً ، كقوله جل وعلا : أ إله مع الله لو أزلت الاستفهام يعنى الهمز صارت الكلمة إله مع الله وهذا باطل فيكون الهمز هنا للاستفهام الإنكاري ، وضابط التوبيخي أن يكون ما بعده واقعاً مقابلاً للاستفهام الإنكاري والأخير وهو أن يكون توبيخياً إنكارياً ما تردد بين هذا وهذا يحتمل أن يكون للإنكار ويحتمل أن يكون للتوبيخ ، فلا يمنع أن يكون لهما معاً وإذا كان كذلك فالاستفهام كثيراً ما يأتي بعده حرف الواو أو حرف الفاء كقوله هنا : أفلم ينظروا ومن المعلوم أن الواو أو الفاء من أحرف العطف ، فهذه عطفت ما بعدها على أي شيء ، لم يذكر شيء قبلها حتى يعطف ما بعدها عليه قالوا : عطف ما بعدها بالفاء أو بالواو على جملة محذوفة تناسب السياق فقوله هنا أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم قال : أيكذبون بالحق وبالقرآن وببعث الأجساد بعد الموت فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها يعنى تكذيبهم كان مع عدم النظر أو كان مع النظر ؟ فإن كان مع عدم النظر فإنه أخف أما إذا كان مع النظر ومع قيام دلائل الله جل وعلا في الآفاق في السماء فإن هذا يكون تكذيباً قبيحاً جداً ، ولهذا قال في الآية قبلها بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج هذا تنبيه . والثاني قوله : إلى السماء فوقهم المراد بالسماء إذا أطلقت في القرآن أو إذا أفردت أن تكون واحدة السماوات ، قد يشمل السماء الدنيا أو بعدها أو أن يكون المراد جنس

السماء ، أو أن يكون المراد العلو . أما إذا جُمعت السماوات فلا يحتمل إلا أن تكون السماوات جميعاً ولا يدخل معنى العلو فيها وقوله في هذه الآية أ فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها
المقصود السماء المنظورة السماء الدنيا لأنها هي التي قامت بها الحجة وقام بها الدليل . سمعت ما في تفاسير السلف في قوله ((زيناها)) وكلمة زيناها هذه لها استعمال مضطرد في القرآن لا تحيد عنه ، وهى أن يكون التزيين أو الزينة بأمر خارج عن الذات المزينة فلا تكون الزينة في القرآن بأمر وبشيء في الذات نفسه يعنى من خلقتها بل شيء مجلوب للذات ليزين بها ، ولهذا فسر السلف الزينة بأنها ما جعل في السماء من النجوم والبروج
تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً
ونحو ذلك قوله : إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ونحو ذلك قوله : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد فالزينة شيء مجلوب للذات ، ليس من الذات نفسها ولكن شيء خارج عنها يجلب للتزيين وللتحسين وبالتالي هناك فرق بين الزينة والجمال ما بين الحسن وبين الزينة ، لأن الجمال شيء ملازم ، والزينة شيء مجلوب ، وعلى هذا الاستعمال المضطرد قول الله جل وعلا ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها فإن تفسير الزينة هنا ، بأن المراد به الوجه وأنه هو الزينة الظاهرة هذا مخالف لاستعمال الزينة المضطرد في القرآن لأن الزينة لا تكون من الذات ففي قوله ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها نعلم باستعمال القرآن المضطرد أن الزينة شيء

مجلوب لتحسين المرأة ، ولهذا اختلف السلف في هل هو اللباس أو الكحل والخاتم والقرط ونحو ذلك ، أما من قال الزينة الوجه هي الزينة الظاهرة هذا خارج عما هو التحقيق في فهم معنى الزينة في القرآن .

هنا في قوله وألقينا فيها رواسي فيها تحتمل أن يكون معناها على بابها يعنى في الظرفية فتكون الرواسي في داخل الأرض ويحتمل أن يكون معنى فيها عليها وألقينا عليها رواسي وكلا المعنيان صحيح لأن هذه الرواسي فيها وعليها كما قال جل وعلا في آية فصلت وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقال جل وعلا في آية النبأ والجبال أوتادا والوتد أو والوتِدُ منه ما هو أعلى ومنه ما هو في داخل الأرض .

فإذاً من فسرها من المعاصرين بأن الرواسي هي الجاذبية ونحو ذلك نقول هذا باطل لأن الرواسي في القرآن جاءت أنها داخلة وخارجة ، والخارجة عليها وأما الجاذبية فهذه ليست بأمرٍ خارج عليها وإنما هي أمر خفي ، وإذا كان أمراً خفياً فالحجة لا تقوم أو الاستدلال لا يقوم بأمر خفي فظهر هنا أن قوله رواسي وألقينا فيها رواسي أن هذا الإلقاء فيها في داخلها ألقينا فيها رواسي يعنى في داخل الأرض تجعلها متزنة لا تميل ولا تضطرب ، وكما قال : هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فهي كالدّابة الذلول تمشي بصاحبها على أحسن ما يريد ، وفي آية فصلت وجعل فيها رواسي من فوقها يفيد أن هذه الرواسي عليها من فوقها فإذن تجمع هذه وهذه أما التفسير بالجاذبية ونحو ذلك فهذه

تفسيرات ليست بجيدة من جهة اللفظ ومن جهة أيضاً أن الحجة لا تكون بأمر خفي إنما الحجة تكون بأمر ظاهر .

س :

لا . التفسير العلمي إذا كان خارجاً عن اللفظ فإنه باطل لأنه يكون من باب الإشارة التي لا دليل عليها لأن الكلام في القرآن نفهمه باللسان العربي ، ما نفهمه بما في أذهاننا من تصورات . دون أدلة اللفظ عليه فإذا دل اللفظ على الشيء صار مستمسكاً ، أما إذا كان اللفظ خارجاً عن المدعى الذي يدّعيه طائفة من العصريين في الاكتشافات العلمية ونحو ذلك ، فلا يؤخذ بهذه الاكتشافات من جهة دلالة القرآن عليها .

أصل أناب : آب لكن جاءت النون للتقوية ، تقوية المعنى فكما أن المبنى زاد فكذلك المعنى زاد ، والألفاظ وضعتها العرب متقاربة من أول حرف الألف والتاء والثاء ، وكذلك الباء مع شيء من إعمال النظر . آب ، وتاب ، وثاب .هذه كلها فيها الرجوع حتى باب فيها أيضاً الرجوع .

المقصود أن النون هنا في ((منيب)) أنها لتقوية معنى الإياب ، أصل الكلام يعنى من حيث الاشتقاق منيب من الإياب ، آب يؤوب ، إياباً ، ثم قويت فصار أناب ، ينيب إنابة للتقوية ، وهذه تنتبه لها في التفسير كثيراً ، إذا عرفت الكليات التي تدور عليها الألفاظ يعنى معاني الألفاظ فإنك يسهل عليك فهم الكلمات وتفسيراتها مع معرفة ما تدور به في القرآن فابن كثير الآن إيش قال في تفسير منيب ؟

شوف هنا كلمة رجّاع يعنى لأن تفاسير السلف ومن نحى نحوهم ليست ثقافية ليست كلمة يفسرها بالمزاج بما يريد ، كلمة رجّاع هذه . لماذا استعمل صيغة المبالغة ؟

أخذها من أن مجيء النون في كلمة منيب من أصلها . آب يدل على تقوية المعنى يعني على المبالغة فيه دائماً تنتبه تفسير ابن كثير سهل ممتنع ، فيه ألفاظ يفسرها ، لماذا استعمل لفظ المبالغة هنا ؟ رجّاع . من أين أتى بأنه رجّاع المنيب رجّاع ؟ لأجل الاشتقاق الذي ذكرت لك .

أنبهكم تنبيهات عامة ممكن تفهموا على منوالها تفسير في أي مكان منه إن شاء الله .... نضيد بمعنى منضود هذا على بابها يعنى نضيد بمعنى منضود لأن فعيل تأتي بمعنى فاعل ، أو بمعنى مفعول ، بحسب ما يناسب السياق . تارة يأتي هذه وهذه جميعاً تناسب مثل : ﴿ والقرآن الحكيم ﴾ الحكيم بمعنى حاكم ومحكم . هنا فعيل بمعنى فاعل ، وقتيل بمعنى مقتول ، لا ما يكون قتيل بمعنى قاتل ، قتيل فعيل بمعنى مفعول ، هنا نضيد بمعنى منضود . ففعيل تارة تأتي في التفسير بمعنى فاعل . وتارة تأتي بمعنى مفعول .

والنضد رص الشيء هذه بجنب هذه ، هذا معنى النضد ﴿ وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾ الماء أيضاً في القرآن ظاهره المطر الغيث وله معنى باطن في كثير من الآيات وهو أن المراد بالماء القرآن . الوحي . ولا شك أن القرآن والوحي غيث ، ولهذا تجد في تفاسير السلف في الآيات التي فيها

ذكر الماء ، أنهم يقولون هذا فيه الإشارة أو فيه البيان عن نزول القرآن وأثره على القلوب
هنا قال في آخر الآية أو في آخر آية وأحيينا به بلدة ميتا به يعنى بالماء ، وهذا فيه السببية فهذه الآية فيها رد على الأشاعرة ومنكرة الأسباب عموماً لأنه أثبت الفاعل وأثبت السبب فقال : وأحيينا به بلدة ميتا فالمحيي هو الله بسبب هذا الماء فلا يكون إحياء الله جل وعلا فيما جرت به سنته بلا سبب ، هو جل وعلا على كل شيء قدير . يحيي بلا سبب ولكن فيما جرت به السنة أنه يحيي بسبب والباء هنا باء السببية قوله كذلك الخروج الكاف كذلك وأحيينا به بلدة ميتا يعنى أن الماء ينزل على الأرض الخاشعة الهامدة فتهتز نباتاً بهيجاً حسناً في عيني رائيه بعد أن كان لا يتصور أن هذه تحيا قال كذلك الخروج هذا لأجل أن الخروج يكون بإنزال مطر على الأرض التي فيها الأجساد بعد البلى فتنبت الأجساد مثل النبات ، هذا مثل هذا ولهذا قال جل وعلا ومن آياته أن ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى لأن المسألة واحدة وذلك أن الإنسان يبلى منه كل شيء إلا عجب الذنب لا يبلى فيكون كبذرته بل هو بذرة له في الأرض فينزل الله جل وعلا بين النفختين النفخة الأولى والثانية يعنى نفخة الصعق ونفخة البعث ، ينزل مطراً كماء الرجال من جهة صفته من أنه غليظ أبيض فتمطر الأرض منه أربعين ، فإذا أمطرت نبتت الأجسام بلا أرواح كالأشجار ثم بعد ذلك ينفخ في الصور نفخة البعث فتتطاير الأرواح فتذهب روح كل إنسان إلى

صاحبها فيكون البعث ، المقصود من ذلك أن قوله كذلك الخروج تنتبه للكاف هذه وتفسيرها في آية سورة فصلت إن الذي أحياها لمحيي الموتى وفي آية فصلت بالمناسبة قوله خاشعة فيها البحث ، وهو أن الخشوع يكون في الظاهر هذا من أدلة من قال أن الخشوع يكون في الظاهر لا في الباطن .

 ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت فأن الاهتزاز الظاهر هذا ينافى الخشوع أو يقابل الخشوع .

 كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود *وعادُ وفرعون وإخوان لوط *وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد * آفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصـلاة والسـلام على رسـول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد :

فهذه الآيات ظاهرة المعنى بينة وذكر قصص الأنبيـاء في القرآن يأتي لفوائد .

الفائدة الأولى : أن في ذكرهم بيان التوحيد ، وهو تقرير للتوحيد من جهات متعددة لأن كل رسول جاء بالتوحيد .

الفائدة الثانية : أن في ذكرهم بيان عاقبة أهل التوحيد ، وعاقبة المخالف في للتوحيد السالك سبيل الشرك وأهله وفي قصص الأنبياء تسلية للمؤمنين الموحدين ووعيد للكفرة المشركين .

الفائدة الثالثة : أن في ذكر قصص الأنبياء تقرير للنبوات وتقرير النبوة وبرهان النبوات من مهمات مباحث العقيدة وهى في القرآن مفصلة أعني براهين وآيات الأنبياء ، والخالف الذي يأتي متأخراً يأخذ قصص الأنبياء وينظر في براهينهم ويوقن بأن الله جل وعلا أرسل أنبياء وأرسل رسلاً ،فأقول أرسل أنبياء وأرسل رسلاً على قوله جل وعلا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته يعنى الرسول يقع عليه الإرسال ، والنبي كذلك يقع عليه الإرسال لكن باختلاف المعنى كما هو مقرر في موضعه .

الفائدة الرابعة : أن فيها تقرير أن الله لن يترك أولياءه دون ناصر دون نصر منه ودون إعانة تظهرهم على الكفار فكل من كذب الرسل حق عليه وعيد الله جل وعلا ، وهذا فيه تثبيت للمؤمنين في كل زمن وفيه شرح صدر أهل الإيمان وأهل التوحيد في كل زمن ((والأنبياء إخوة لعلات)) كما قال علية الصلاة والسلام ، الدين واحد والشرائع شتى فالإيمان برسول إيمان بجمع الرسل والتكذيب برسول تكذيب بجميع الرسل فمن آمن برسول واحد بتمام ما يقتضيه الإيمان فإنه يؤمن بغيره من الرسل لأن دينهم واحد لا نفرق بين أحدا من رسله وهذه الآيات فيها ذكر تكذيب قريش للنبي عليه الصلاة والسلام بتنبيه ووعيد قريش للتنبيه ، وفيها ذكر تكذيب من ذكر من أقوام الرسل صراحة وفي قوله جل وعلا وقوم تبع كلٌ كذب الرسل تبع هل كان رسولاً أو لم يكن رسولاً وإنما كان رجلاً صالحاً فيها قولان للمفسرين والصواب منهما

أنه كان رسولاً بقوله جل وعلا هنا ﴿ وقوم تبع كلُ كذب الرسل ﴾ وتبع كان من أهل اليمن ، ثم نقم عليهم ما يعملونه من الظلم والشرك ثم أرسله الله جل وعلا ، فهو رسول مرسل إلى أهل تلك الجهة كما هو مبين في موضعه الذي ذكره ابن كثير رحمه الله ، قال : ﴿ فحق وعيد ﴾ ﴿ كلٌ كذب الرسل فحق وعيد ﴾ حق في القرآن بمعنى وجب ، حق وعيدي ، ووجوب ذلك وإحقاقه بإيجاب الله جل وعلا ذلك على نفسه ، وإيجابه على نفسه إذا كان من جهة الوعد فإنه لا يتخلف وأما إذا كان من جهة الوعيد فإنه قد يمن الله جل وعلا على عباده الذين حق عليهم وعيده فيؤخرهم إلى أجل مسمى ، يعني فلا يعاقبهم في الدنيا ، أو قد يخفف عنهم عذاب الآخرة إلى غير ذلك ، والوعيد غير الوعد بينهما فرق معروف .

قال : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ﴾ الخلق الأول يراد به إما آدم عليه السلام وإما خلق كل إنسان بحسبه ، فآدم عليه السلام لم يعي الله جل وعلا خلقه : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك ﴾ أو يعنى به تنقل الإنسان من نطفة إلى ما بعده هذا هو الخلق الأول ، والقاعدة العقلية التي يشترك فيها العقلاء أن الإعادة أسهل من الابتداء ولهذا قال جل وعلا هنا : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبسٍ من خلقٍ جديد ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ وهو الذي يبدأُ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ أهون عليه يعني وهو هين عليه وأهون بالتفضيل لو فرض أن أحدهما فيه عسر ،

وكل منهما هيَّن والابتداء أصعب من جهة العموم ابتداء الشيء أصعب من إعادته ، فإذا ثبت الابتداء بالدلائل الواضحة البينة فالإعادة أمرها أهون كما أخبر الله جل وعلا .
قال : ﴿ بل هم في لبس من خلقٍ جديد ﴾ المقصود بالخلق الجديد هذا البعث بعد الموت لأنه جديد ، الخلق الأول هو الخلق الجديد بينهما تناسب بل هذا هو هذا من حيث الصفة وخروج الإنسان ما بين الدنيا إلى البرزخ يكون بعكس الصفتين هذه وهذه ، وبيان ذلك أن الله جل وعلا خلق آدم من تراب من طين من حمأ مسنون ، من صلصال وشكله جل وعلا وصوره ، وكان آخر ذلك أن نفخ فيه من روحه ، فاهتز بشراً سوياً ، فالروح آخر ما دخل في الإنسان وبها صارت الحياة الدنيا ، وإذا فارق الدنيا تنعكس هذه الحالات ، فأول ما يخرج من ابن آدم الروح ، هي آخر ما دخلت ، ثم إذا دفن ، يتنقل بعكس تلك الحالات فيكون حمأ مسنون ويكون صلصال متحجر ، ثم يكون طين ، ثم يكون تراباً ، ثم يفتت إلا من استثنى الله جل وعلا .
بدء الخلق الجديد مثل الأول هو تراب ثم يبدأ يتشكل من التراب ، بنفس ابتدائه :﴿ كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا ﴾ يبدأ يتشكل يتشكل حتى يكون جسد لا روح فيه ثم تأتي الروح ، فالمقصود أن معرفة ابتداء الخلق مُعين على معرفة كيفية الإعادة ن هذا هو هذا ، فمن تدبر واحدة منهما أيقن بالثاني ، فكفر الكافرين وتكذيبهم بالبعث واستبعادهم ذلك ، هذا من جراء ضعف عقولهم وعدم اعتبارهم ونظرهم في حقيقة الأمر ، ولو

نظروا في خلقهم لتيقنوا بأن البعث حاصل ولهذا يكرر الله جل وعلا في القرآن قصة خلق آدم لأن في هذه القصة إثبات البعث بوجه من الأوجه ، وهو الذي ذكرنا أن هذا هو هذا ، الابتداء مثل الإعادة ، والإعادة مثل الابتداء إلى غير ذلك .

 ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد * وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، في قوله جل وعلا هنا : ونحن أقرب إليه من حبل الوريد سمعت ما فيها وأن المقصود قرب الملائكة ، وذكر الآيات على ذلك وهذا من تقرير الشيخ ابن كثير ، ابن تيمية رحمه الله ، فإنه هو الذي قرر هذا الأصل ، وهو أنه ما كان في القرآن من ذكر القرب مجموعاً فإن المقصود به قرب الملائكة : ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون هذا قرب الملائكة هنا قال ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد قرب الملائكة وذلك لأن القرب هنا عام في كل إنسان والقرب العام قرب الله جل وعلا العام ليس بثابت في النصوص ، وإنما الذي ثبت القرب الخاص (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) ونحو ذلك من النصوص ، فالقرب غير المعية ، قرب صفة أخرى ، وهذا القرب قرب خاص من أولياء الله جل وعلا ، وأما القرب العام فأثبته بعض أهل العلم ،

وفسروا القرب العام بالعلم ، وهذا هو الذي ذكره ابن كثير هنا قال : ومن تأوله على العلم ، فإنما فرَّ لئلا يلزم حلول أو اتحاد ، هذا قول طائفة من أهل العلم أن القرب يفسر إذا ورد عام من قرب من جميع الخلق ، لكل الإنسان يفسر بالعلم ، ولكن هذا ليس بصواب ، لأن القرب ما جاء إلا خاصاً كما ذكرنا قوله : لئلا يلزم حلول أو اتحاد هذا عطف تغاير ، الحلول غير الاتحاد كما هو مقرر في العقيدة
والحلول نوعان :
1ـ حلول عام 2ـ حلول خاص
والاتحاد نوعان :
1ـ اتحاد عام 2ـ اتحاد خاص
ويفرق بين الحلول والاتحاد بمثال يقرب تعريف هذا وهذا إلى أذهانكم وهو أن الحلول فيه تمايز بين الشيئين ، حل ولكن لم يصيرا شيئاً واحداً بحيث إن الماهيَّة صارت واحدة ، بالمثال : الملعقة في كأس ماء ، إذا أدخلت الملعقة الصغيرة في كأس ماء وغمر الماء الملعقة صارت الملعقة حالة في الماء ، فتنظر إلى هذا وهذا شيء واحد ، لكن يمكن الانفصال يمكن أن تأخذ هذه وتفصلها مثل الروح في الجسد ، الروح في الجسد شيء واحد ، هما شيء واحد بحيث إذا نظرت للإنسان ما تفرق تقول الروح شيء والجسد شيء آخر ، هما شيء واحد ، لكن يمكن انفصال الروح عن الجسد ، هذا يسمَّى الحلول .
أمَّا الاتحاد فأن تكون الحقيقة شيئاً ، تكون الحقيقة شيئاً واحداً بحيث لا يمكن الانفصال ، مثل السكر في الماء أو الشاهي في الماء ، السكر في الماء إذا

تحرك صار فيه صار طبيعة مختلفة تقول هذا ماء ؟ لا .

تقول هذا ماء فيه سكر ، يعني ماء خاص ، شاهي يعني ورق شاهي وضعته في ماء تغير اللون فهو ماء وشاهي اتحد وصار له صفة ، لهذا القائل بالوحدة القائل بالاتحاد أعظم من القائل بالحلول ، لأنه يقول : إن الله جل وعلا في كل شيء ، المقصود هذا أن الله جل وعلا اتحد في كل شيء فصارت الحقيقة واحدة ، عين العابد هو عين المعبود ، كما قال ابن الفارض :

لك صلاتي في المقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلّتي

إن الحقيقة واحدة ما يختلف ، عين العابد وعين المعبود واحدة بخلاف الحلول ، فهذا هو الذي يفرق فيه بين الناسوت واللاهوت أو بين ماهية الخالق وماهية المخلوق والبحث في موضعه .

المقصود من ذلك أن قوله جل وعلا هنا : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ هذا قرب الملائكة كما في نظائره .

وهذا هو الصحيح ، الصحيح أن الملائكة تكتب كل شيء تكتب ما يؤاخذ عليه العبد وما لا يؤاخذ ، لأنها معدَّة للكتابة ﴿ كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ هي معدَّة للكتابة فتكتب كل ما يصدر من العبد ، من الأقوال والأعمال والحساب على الله جل وعلا وهذا ظاهر من هذه الآية قال جل وعلا هنا ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد ﴾ ودلالتها على التنصيص في العموم ظاهرة ، ودلالتها على الحصر أيضاً ظاهرة في التنصيص على العموم في الإتيان بمن

قبل النكرة ، لأن القاعدة المقررة في الأصول : أن النكرة في سياق النفي تفيد الظهور في العموم فإذا سبقت بحرف زائد في النحو بحرف جر زائد في النحو أو ما يسميه المفسرون صلة ، فهذا ينقل العموم من ظهوره إلى التنصيص فيه ، ومعنى التنصيص أنه لا يخرج من أفراده شيء كما قال : ما لكم من إله غيري زيادة مِن ، والثاني الحصر في الآية لأنه أتى بإلا وإلا إذا أتت بعد حرف النفي فإنها تفيد الحصر ، المقصود أن الصواب هو قول الحسن وجماعة من أهل العلم كثيرة أن الملائكة تكتب كل شيء لأنه هو ظاهر في الأدلة .
وهذا يخالف ظاهر كلام ابن كثير الأول ، أن الملائكة إنما تكتب ما فيه خير أو شر في أول الكلام أو ما فيه ثواب أو عقاب وهذه الرواية رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، فيها أنه أن الملائكة تكتب كل شيء ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هي من أصح الروايات عن ابن عباس في التفسير بل جعلها طائفة من أهل العلم أصح الروايات كالبخاري واعتمدها في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس في التفسير ، وقد قال الإمام احمد رحمه الله إن بمصر صحيفة في التفسير يرويها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل إليها ما كان كثيراً ، وعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس إنما وجدها وجادة ، يعني وجد الصحيفة مكتوبة من تفسير ابن عباس وجادة ، وأثبت كثيرون من أهل العلم أن علي بن أبي طلحة أخذها من مجاهد ، فتكون الرواية متصلة غير منقطعة ، فوجادة طريقها مجاهد عن ابن عباس ، مجاهد معلوم اختصاصه بابن عباس في التفسير

وفي غيره حتى قال رحمه الله : عرضت التفسير على ابن عباس ثلاث مرات أُوقفه عند كل آية أسأله عنها ، فإذا تعارضت الروايات فكثير من المحققين يرجح ما دلت عليه رواية علي بن أبي طلحة ، رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرجحة في قوتها وثبوتها واعتماد المحققين من أهل العلم في التفسير اعتماد تلك الرواية ، البخاري اعتمدها ، والإمام احمد اعتمدها ، وابن أبي حاتم في تفسيره اعتمدها ، وجماعات من أئمة المحققين المتقدمين والمتأخرين .
وفي رواية أخرى أنه قيل له أن ابن سيرين كره أن يئّن المريض فما أن أحمد حتى مات .

تعليق على سورة (ق) 2

 وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قوله كل نفس هذا عموم يعمَّ كل الأنفس والمقصود بها الأنفس المكلفة ، والسائق هو الذي يسوقها إلى المحشر ، والشهيد هو الذي يشهد عليها ، والشهيد فيه آيات كثيرة تدل على معنى المراد بالشهيد ، ولذلك اختلفوا فيه على أقوال ، فمرد اختلاف هذه الأقوال إلى دليل كل قول من القرآن فمثلاً مأخذ من قال : إن الشهيد هو النفس وليس ملكاً خاصاً ، قول الله جل وعلا وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا *

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ونحو ذلك ، وهذا كثير في اختلاف السلف إذا كانت الكلمة محتملة فإنهم ينظرون في تفسيرها إلى ما ورد في المعنى في القرآن فيمرّون في الآيات وما دلت عليه الآيات من ما يحتمل أن يكون تفسيراً لهذه الكلمة فإنهم يفسرونها به وهذا هو الأكثر عندهم ، الأكثر عند السلف في التفسير أن الكلمة المحتملة يرجع في تفسيرها إلى القرآن ولهذا يختلفون في التفسير من جراء ذلك ، وأقل منه والرجوع إلى السنة في سبب الاختلاف فإذن كلمة شهيد من حيث هي دالة على الإنسان يكون معه شهيد عليه ، وهل هذا الشهيد نفسه ؟ أو الملائكة أو كتابه أو الأنبياء وغير ذلك هذه أقوال بحسب ما جاء في هذه المسألة من آيات كما في قوله جل وعلا وجيئ بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون الشهداء هنا بمعنى الملائكة فمن نظر إلى هذه الآية فسر الشهيد بأنه ملك ، والشهداء جمع شهيد وهو كل من يشهد عليه ، والذي يشهد على الإنسان نفسه ، وأيضاً الملائكة تشهد عليه ، وأيضاً من كان يعاشره في الدنيا يشهد عليه وهكذا ، المقصود من ذلك الانتباه لسبب اختلاف السلف في التفسير وذلك من جهة النظر إلى بعض ما جاء في معنى الآية التي يريدون تفسيرها فينظرون في الآيات الأخر لإيضاح هذا المعنى ، لإيضاح هذه الكلمة المحتملة أو التي يعرضون لتفسيرها ، ثم في النظر إلى تلك الآيات يفسرون .

وقوله جل وعلا : لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك هو المقصود به الإنسان كما

هو القول الثاني ، هذا هو الظاهر وهو الصحيح من الأقوال وذاك لدلالة السياق عليه بأن الله جل وعلا ابتدأ هذه الآيات بقوله : ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ يعني الإنسان : من قول إلا لديه يعني الإنسان رقيب عتيد إلى آخر الآيات فالآيات في الإنسان جنس الإنسان ، وقوله كشفنا عنك غطاءك الغطاء للعين هذا راجع إلى جهتين ، العين التي هي في البدن وهو آلة إبصار الروح للأشياء فهذه لها غطاء ، والغطاء هو إمكانيتها يعني لا يمكن أن ترى إلا ما جعله الله جل وعلا فيها من القدرة فإذا كانت في الظلماء لا تبصر الأشياء التي في الظلام لأنها ليس عندها قدرة ، والروح معلقة كما ذكرنا في الدنيا بالبدن ، تتعلق الروح بالبدن فلا تبصر الروح إلا بإبصار هذه العين وأما بالموت فتكون حاسة هذه العين الآلة .

هذه تكون ذهبت ويكون الإبصار للروح ، وإذا كان الإبصار لعينيَّ الروح فهي غير عينيَّ البدن ، فانكشف الغطاء والحاجز ، وبقي إبصار الروح على إطلاقه ، فترى العوالم وترى في الملكوت ما لم يكن يراه في الظلماء الأشياء ترى الملائكة ، ترى العالم الغيبي ، وذاك لأن الغطاء قد انكشف ، المقصود من هذا أن الغطاء هنا الأظهر أنه تعلق الروح بالبدن ، لأن هذا غطاء ، لأن الروح ليست هي التي تبصر أو تدرك في نفسها وإنما بالآلات والجسم كما هو معلوم آلة للإدراكات وللأحاسيس التي تقع على الروح وهذا مبحث واسع وفي آيات كثيرة يقع

الاختلاف إذا كان مرد الفهم إلى حالة تعلق البدن والروح ووظيفة البدن ووظيفة الروح ومن العلماء من يدخل في هذا ويخوض ومنهم من يتبع الظاهر ويمسك وكلا القولين موجود عند السلف يعني من يخوض في هذه المسائل بعلم ومن يمسك طلباً للسلامة من الخوض فيما لا علم له به فإذن الظاهر من قوله تعالى : ﴿ كشفنا عنك غطاءك ﴾ نجد ما ذكرنا ، هو أن الإنسان بالموت يبصر ما لا يبصره في حال الحياة كأن ترى مثلاً السماء في الليل ظلماء سوداء وذاك بالحجاب الحاجز على العين ، مثل ما تدخل غرفة مظلمة ، ولا تنظر فيها شيئاً ، بينما يكون فيها كتاب ويكون فيها فراش وفيها كذا وكذا ، لكن العين لا تبصر ما في هذه الغرفة المظلمة لأن حاستها محدودة لكن لو كشف ذلك الغطاء لأبصرت كل ما في هذا الظلام ، وهذا هو الذي يحصل بالموت ، فإن الإنسان يبصر بالموت الملائكة ويبصر العذاب ويبصر النعيم ونحو ذلك مما يكون بعد الممات نسأل الله جل وعلا لنا ولكم العفو والعافية .

﴿وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيد * ألقيا في جهنم كل كفار عنيد * مناعٍ للخير معتدٍ مريب * الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد * قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد * قال لا تختصموا لديَّ وقد قدمت إليكم بالوعيد * ما يبدل القول لديَّ وما أنا بظلامٍ للعبيد ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فهذه الآيات مشتملة على ذكر الله جل وعلا وما يقوله الله جل وعلا أيضاً للملائكة ، وما يقوله القرين من الجن ، وفيها أن كل إنسان وُكِّل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن ، وذلك لشدة مقارنته له وأنه لا يفارقه فالملك لا يفارق ابن آدم ، والجني كذلك لا يفارق ابن آدم وقد ثبت عن النبي أنه قال (ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرينه من الجن) وثبت أيضاً أن كل إنسان معه ملك قرين ومعه أيضاً جني قرين ، فما كان من الخير فهو من لمة الملك وما كان من شر يفعله العبد فهو في تسويل الشيطان وقوله جل وعلا : وقال قرينه هذا ما لدي عتيد لدي في القرآن تأتي بمعنى عندي ، ولهذا ما عندي عتيد يعني معد وقوله جل وعلا ألقيا في جهنم هذا كما سمعت فيه وجهان من التأويل : الأول : أن ألقيا مثنى يراد به مثنى ، فألقيا خطاب لأثنين ، فيكون القرين هذا هو السائق والشهيد ، كما مر أو يكون ألقيا لفظه لفظ التثنية ، والمراد به المفرد ، كما سمعت في القول الثاني ومخاطبة المفرد بما يخاطب به المثنى أو ما يخاطب به الاثنين ، هذا شائع في اللغة كقول الشاعر :

قفا نبكي من ذكر حبيب ومنزلِ بسقط اللواء بين الدخول فحوملِ

إلى آخر ما قال ومن جهة البلاغة فإن الواحد يخاطب مخاطبة الاثنين إذا أريد به تفخيمه أو تفخيم الأمر المذكور ، وهذا الثاني هو المراد في هذا الموضع ، فإنه المراد تفخيم هذا الأمر ، وإلقاء روعته في القلب حتى يحذر ويخاف ألقيا في جهنم كل كفار عنيد فهذان وجهان من التأويل ، ولهما

نظائر في تفسير القرآن في غير هذا الموضع ، قوله جل وعلا ألقيا في جهنم جهنم اسم للنار ، وأسماء النار مختلفة باعتبار اختلاف الصفات ، كما أن أسماء القيامة مختلفة باعتبار اختلاف الصفات ، فمن أسماء النار جهنم وسقر ولظى إلى آخره ، باعتبار اختلاف صفاتها ، والكفار هم في مكان من النار ، والنار دركات بعضها فوق بعض فأبوابها سبعة لكل باب منهم جزء مقسوم ، فنار الكفار ، نار المشركين هذه غير نار المنافقين ، ولهذا قال جل وعلا : إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا .

ومن طبقات النار ، نار الموحدين وهي أعلى هذه الدرجات ، أعلى هذه الدركات هي نار الموحدين ، وهي التي إذا خرجوا منها بقية تصطفق أبوابها ليس فيها أحد ، كما جاء في الأثر المعروف ، الذي رواه حابل بن حميد في تفسيره ، ورواه غيره من حديث عمر وغيره ، أنه قال (لو بقي أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه وليأتيَّن على النار يوم تصطفق أبوابها ليس فيها أحد) المقصود بهذا نار الموحدين وهذا بيَّن ، فإذن نار المشركين الكفار هذه نار باقية يمكثون فيها أبدا الآباد خالدين فيها أبدا .

وباقي الكلام أعني كلام ابن كثير واضح لا يحتاج إلى مزيد من التعليق عليه إلا أنه في قوله تعالى : وما أنا بظلامٍ للعبيد هاهنا سؤال معروف يأتي به أهل العلم في التفسير في مثل هذا الموضع ، وهو أنهم يقولون : إن ظلَّام صيغة مبالغة وما أن بظلام للعبيد ظلَّام (فعَّال) صيغة مبالغة من اسم الفاعل

ومن المعلوم أن المبالغة إذا نفيت فإنها لا تعني انتفاء الأصل ، وإنما قد يسقط شيء منها ، فهل هذا مراد يعني نفي المبالغة في الظلم ، هل يفهم منه أنه قد يقع ظلم ؟ الجواب :

سبحان الله وتعالى عن ذلك علوَّاً كبيرا ، الله جل وعلا هو الحكم العدل وإنما أوتي بصيغة المبالغة هنا لاستحضار حالة الإنسان ، فهو كثير الظلم للعباد ، ولو جمع الناس جميعاً ، وجمع كل ظالم لصار أشد من يظلم في ملكوت الله الإنسان ولهذا وصف الله جل وعلا الإنسان بقوله وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا فظلوم صيغة مبالغة من ظالم ، فهذا وما أنا بظلام للعبيد ينفي على هذا مجرد وقوع الظلم لأنه في مقابلة ما يحصل من الناس جميعاً والتوجيه الثاني أن صيغة المبالغة هذه تأتي في اللغة لشيئين :ـ

الأول : المبالغة في الصفة .

والثاني : الاختصاص بالصفة كما يقال : هذا صنَّاع وتمَّار وخمَّار وما أشبه ذلك ، يراد به أنه متحقق بهذه الأشياء فالمنفي إذن هو نسبة الظلم إلى الله جل وعلا أصلاً ، فهو ليس إليه سبحانه وتعالى ، وليس من شأنه وليس من ما يتصف به أفسره قوله جل وعلا إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها وكذلك قوله ولا يظلم ربك أحد ونحو ذلك من الآيات إذن فيكون المنفي أصل وجود هذه الصفة على هذين الوجهين .

 يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً يا أرحم الراحمين ..... أما بعد .

فسبق أن ذكرنا أن سورة (ق) اشتملت على ذكر البعث ودليل البعث والموت وانقسام الناس إلى أهل جنة وأهل نار ، وسبب دخول أهل النار النار ، وسبب دخول أهل الجنة الجنة وكيف يكون ذلك ، هذه موضوعات السورة ، وفي هذه الآية قال الله جل وعلا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد يعني في ذلك اليوم نقول لجهنم والعلماء فيما يُعبر عنه بهذه الصيغة صيغة الجمع مثل نقول أو نرسل أو نحو ذلك هذه منهم من يقول : أن القائل هو الله ومنهم من يقول أن القائل هم رسل الله من الملائكة في نظائرها ، والأحاديث التي مرت معنا في تفسير هذه الآية منها ما فيه ثم يقال لها هل امتلأت ، ومنها أن الله جل وعلا هو الذي يقول ذلك ، فالحاصل أن قوله جل وعلا يوم نقول لجهنم هل امتلأت أن القائل بذلك هو الله ، إما بنفسه وإما برسله من الملائكة وقوله هل امتلأت وقول النار هل من مزيد هذا هل هو بعد أن يضع فيها الجبار قدمه ، أم هو قبل ذلك ؟ هل هو بعد وضع القدم أم قبل ذلك ؟ وجهان للتفسير .

فالأحاديث دلت على أن الله جل وعلا يضع قدمه أو رجله فيها ، بعض الأحاديث فيها القدم ، وبعضها فيها الرجل والمعنى واحد ، إذ قدمه سبحانه وتعالى في هذه الأحاديث بمعنى ما جاء في غيرها بلفظ رجله ،

حتى يضع الله جل وعلا فيها قدمه أو فيها رجله فتقول : هل من مزيد هنا هل هل هي طلب للزيادة ؟ يعني أنها ترغب في مزيد يلقى فيها لأنها لم تمتلئ فمن ذهب إلى هذا التفسير قال : إنها لا تمتلئ حتى يضع الله جل وعلا فيها قدمه ، ويعني أن النار تطلب ذلك ثم يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط، قط يعني يكفيني ، يكفيني .

والوجه الثاني من التفسير : أن هل من مزيد أنه قول النار لبيان أن ما فيها يكفيها وذلك بعد أن يضع الله جل وعلا فيها قدمه ، فتقول هل بقي فيَّ مزيد فيكون على هذا الوجه ليس طلباً للمزيد ، وإنما هو بيان لأنه ليس فيها مكان لزيادة ، وكما سمعت في الأحاديث أن الله وعد النار بمليئها ووعد الجنة بمليئها ، أما الجنة فينشئ الله جل وعلا لها خلقاً حتى تمتلئ ، والنار لا تمتلئ حتى يضع الله جل وعلا فيها قدمه أو رجله فتقول : قدني ، قدني ، أو قط ، قط يعني ، يكفيني ذلك وهذا فيه التحذير والترهيب من النار ومن أسباب الدخول فيها لأن قوله يوم نقول لجهنم هل امتلأت يعني ذلك أن جهنم أوسع ممن يدخل فيها ، وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن الناس منهم تسعة وتسعون وتسعمائة إلى النار وواحد إلى الجنة ، وهذا يعطي العبد المسلم ما يجب من أن يعمر قلبه به من خوف الله جل وعلا وتقواه ومن إجلاله والبعد عن النار وما قرب إليها من قول وعمل ، لأن المسألة عظيمة والنار عذابه جعل الله جل وعلا فيها المتكبرين وجعل فيها المسرفين وجعل فيها الظالمين وهؤلاء منهم من يخلد فيها ، ومنهم إذا كان من أهل التوحيد من لا

يخلد فيها ، فهي عذاب يجب الحذر منه أعظم الحذر ، لأنه عذاب يطول ولو كان مآله في الموحد إلى الخروج لكنه يطول جداً ، كيف ؟ ويوم القيامة فقط وهو يوم واحد يستمر خمسين ألف سنة والناس فيه قبل أن يكون أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، وذلك كما قال جل وعلا : سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبراً جميلاً * إنهم يرونه بعيداً يعني ذلك اليوم ونراه قريباً فهو يوم الحَزن ويوم الافتراق إلى فريق في الجنة وإلى فريق في السعير ، من حيث دلالة الأحاديث على صفة الله جل وعلا فيها إثبات صفة القدم لله سبحانه وتعالى ، وهذا على القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة أنه إثبات من غير تكييف ولا تمثيل كما قال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قدمه سبحانه وتعالى صفة من صفاته لا تمثل بصفات خلقه وليست كقدم أحد من خلقه ، ومعنى القدم في اللغة : ما يتقدم فإذا كان الشيء له صفة الحركة فما يتقدمه يقال له : قدم والإنسان قدمه غير قدم الحيوان والمقصود أن لفظ القدم لا يعني صفة معينة لجارحة على نحو ما ، وإنما هو يعني من حيث دلالة اللغة عليها ، إنما لفظ قدم يدل على أن من اتصف بجنس صفات الحركة فإنه له قدم بمعنى له صفة ذاتية تتقدمه ، وهذا من حيث المعنى العام الكلي ومن القواعد المقررة عندنا في الأسماء والصفات أن المعاني الكلية لا توجد إلا في الذهن وأما بالخارج فلابد لها من تخصيص وإضافة

تحدد المعنى ولهذا نقول : إن إثبات الصفات إثبات معنى لا إثبات كيفية ، والله جل وعلا أعلم بنفسه سبحانه وتعالى ، نُمرُ هذه الصفات كما جاءت من غير تكييف لها ولا تمثيل .
 وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أوابٍ حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلبٍ منيب * ادخلوها بسلام * ذلك يوم الخلود : وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد من أسباب الإستكرام ألا يتعب الداخلُ الذاهب إلى الجنة ، فهي تقرب منهم وأزلفت يعني قُرِبت الجنة للمتقين غير بعيد وقوله غير بعيد يعني البُعد الذي يشق عليهم وإلا فمن المعلوم أن جهنم عليها الصراط وأن من أذن الله بأن يجوز الصراط فإنهم يظلون في عرصات الجنة يعني في الساحات التي قبل الجنة وهذه تسع أهل الجنة جميعاً فهي بعيدة بالنسبة لسعة المكان ولكنها تزلف إليهم وتقرب بمعنى أنهم لا يتعبون في قصد دخولها ، ولا في المسير إليها والجنة سميت بذلك لأنها مستترة إما عن الناس في الدنيا ، وإما أنها مستترة عمن هو خارجها ، وهذا يعني أن أهل النار أو أن من في العرصات لا ينظر إلى داخل الجنة لأنها مستترة ، وهذه المادة تشعر بأن أهلها في نعيم لا يعرف عنه من هم خارجها ، يعني لا ينظرون إليهم في نعيمهم وما هم فيه ، لأن الجنة مستترة وهذا تبع لاشتقاق مادة الجنة فإن هذه المادة مشتقة من الإجتنان وهو والاستتار وتصريفاتها تدل على ذلك ، كما سمي الجن جناً ، وكما سميت الملائكة جنة ، وكما قيل للجنين في بطن الأم جنيناً ، وكما قيل للجنون أيضاً جنون

وأشباه ذلك ، لأن الجميع يجمعه الاستتار والحجب فإذاً هذه المادة فيها الخفاء والاستتار ، فإما أنها سميت بذلك لخفائها واستتارها عن الناس الذين يطلبونها في الدنيا ، وإما لأنها تستتر من فيها فلا يعرف ما يفعل في داخلها ، ولا يعرف النعيم الذي فيها .

وهذا الثاني يشمل الجنة أيضاً في الأرض ، التي تسمى جنة ، كما في قوله جل وعلا إنَّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين جنة الأرض سميت بذلك من الاجتنان وهو الاستتار ، لأن الداخل فيها يستتر ولا يُعرف من الخارج لكثرة أشجارها الطويلة الملتفة وهذا ينبئ عن مزيد نعيم في داخلها ، والمتقون جمع المتقي ، والتقوى في القرآن على ثلاث مراتب

1ـ مرتبة عامة لجميع من يستحق من الجنة ، وهي تقوى الله بالتوحيد وترك الشرك والبراءة منه وهذه جاءت في مثل قول الله جل وعلا يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ونحو ذلك من الآيات التي فيها مخاطبة الخلق جميعاً بتقوى الله ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله التقوى التي خوطب بها الناس جميعاً هي أن يتقوا الله بالإتيان بالتوحيد وبالبعد عن الشرك ، والبراءة منه واتباع الرسل ، هذه التقوى التي لن يدخل الجنة إلا من هي فيه .

2ـ المرتبة الثانية : للمتقين الذين تركوا الحرام وأتوا بالواجب ، فاتقوا الله بتركهم المحرمات وبامتثالهم للواجبات ، فهؤلاء من أهل الجنة ومرتبتهم أرفع من

مرتبة الذين قبلهم لأن أولئك قد يكونون ظالمين لأنفسهم وهؤلاء مقتصدون .
3ـ المرتبة الثالثة : للمتقين الذين يَدَعون أو يعظم في قلوبهم ذكر الله جل وعلا فيتقونه في خلواتهم وفي سرهم وفي علنهم فيخشون لقائه كما جاء في الحديث (ورجُلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) ومنه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس ، وهذه مرتبة الخاصة من المؤمنين وهم السابقون في الخيرات ، إذاً قوله وأزلفت الجنة للمتقين قد يكون المتقي هذا ، قد يكون المتقي ظالماً لنفسه فتكون التقوى هنا بمعنى التوحيد والبراءة من الشرك ، ويكون المتقي هو الذي أتى بالتوحيد وتبرأ من الشرك فلا يخص المتقي هنا بمرتبة دون مرتبة ، وإنما بحسب الحال ،والظالم لنفسه من أهل الوعيد ، والمقتصد والسابق في الخيرات من أهل الوعد وهم درجات عند الله .
 هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ أوَّاب أتت في القرآن في عدة مواضع كما في هذه الآية وفي قوله جل وعلا إنه كان للأوابين غفورا ونحو ذلك والمفسرون من السلف منهم من يفسرها بعمومها ، ومنهم من يفسرها بخصوصها ، يعنى بخصوص فعل معين والصواب في ذلك العموم وهو أن الأواب هو كثير الرجوع إلى الله جل وعلا لأن أواب صيغة مبالغة من أسم الفاعل آيب ، والآيب هو الراجع ، والأواب هو الرجاع كثير الرجوع فهو الذي إذا أذنب استغفر أو كثير الرجوع إلى الله جل وعلا بذكره وأنه لا يترك ذكر الله جل وعلا إلا لذكره فهو كثير

الرجوع إلى الحق سبحانه وتعالى بالعبادة وبترك المحرم وبالطاعات المختلفة وبالذكر والنوافل إلى آخره هذا معنى عام ، هو الذي يترك معصية الله إلى طاعة الله أو الذي يرجع من الغفلة إلى التذكر واليقظة فيكون معنى هذا ما توعدون لكل أواب يعنى لكل رجاع عن معصية الله إلى طاعته ، أو عن الغفلة عنه إلى ذكره . ومنهم من قال إن الأواب هو الذي يصلى الضحى وذاك لقول النبي في حديث زيد بن أرقم وفي حديث غيره فيما رواه مسلم وغيره ((صلاة الأوابين)) الأواب هو الذي يصلى الضحى فقط ، وإنما من صفاته أن يكون كذلك فسر الأواب بهذا هو تفسير ببعض الأفراد والسلف قد يفسرون الكلمة ببعض أفرادها رعاية لحاجة المستمع فيترك بعضهم المعنى العام إلى معنى فردياً خاص لحاجة المستمع إلى المعنى الفردي المخصص لوعظه أو تذكيره أو حثه على هذه العبادة بنفسها أو ما شابه ذلك من الأغراض .

ومنهم من يقول أن الأواب هو كثير الاستغفار قي مواضعها كثير الاستغفار لأن المستغفر راجع عن الغفلة إلى التذكر ، مثل ما مر معك هنا أن الأواب هو الذي لا يجلس مجلساً فيقوم عنه حتى يستغفر الله جل وعلا ، وهذا لأنه قد يكون في المجلس الغفلة فيكون استغفاره إياب منه من الغفلة إلى التذكر المقصود أن المعنى العام لكلمة أواب هو الذي ينبغي حمل الآية هذه وحمل غيرها عليه وهو كثير الرجوع إلى الله جل وعلا ، إما من المعصية إلى الطاعة أو من الغفلة إلى التذكر أو مما هو أدنى إلى ما هو أعلى كلُ بحسبه .

 ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد * وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص * إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .....ـ أما بعد : ـ

فبهذه الآية وهي قوله جل وعلا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا * فنقبوا في البلاد هل من محيص في القرآن يكثر ذكر عذاب الرب جل وعلا للمكذبين للرسل ، وهذا النوع مما يكون في القرآن كثيرا له فوائد فمن فوائده أن أعداء التوحيد هذا مصيرهم عند الله جل وعلا ، وهو أن لهم العذاب في هذه الدنيا ولهم العذاب والخزي يوم القيامة وهؤلاء أعنى كفار قريش هم من جنس من سبق في معاداتهم للتوحيد وأهله ، فلهم من المصير مثل مصير من سبق وهذا يظهر في قول الله جل وعلا في سورة القمر بعد أن ذكر عذابه الذي أصاب أقواماً كذبوا الرسل قال في آخرها أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر فإذن في ذكر تكذيب من سبق لرسلهم وذكر العذاب الذي أصابهم فيه مخاطبة لكل من كذب الرسل وكل من كذب بالقرآن ولم يأخذ به أنه كافر مخاطب بهذا الوعيد ،

وهذا تشديد في حقه حتى يرتدع بقوله : ﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ﴾ وكقوله جل وعلا ﴿ أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾ .
والفائدة الثانية في ذلك : أن الأقوام هذه لها قوة ولها بطش ولها جبروت فلهم صفات مختلفة منهم من حفر في الصخر ، ومنهم من أعلى البناء ، ومنهم ومنهم ، ولكن هذه القوة لا تغنى من عذاب الله جل وعلا شيئاً كما قال جل وعلا مثلاً في سورة الفجر ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ هنا لم يخلق مثلها في البلاد يعنى في القوة وقريش قالت ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ يعنى حفروا الصخر وقريش لم تبلغ هذا ، لم تحفر في الصخر بيوتاً ، وكذلك ما شابه هذا من الآيات فإذاً فيها تنبيه على أن من كان أقل قوة فإنه أولى أن يخاف من عذاب الله جل وعلا ، ولهذا قال جل وعلا هنا ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ﴾ فليس ثم محيص ولا مفر ولا مهرب من عذاب الله ﴿ ومن الفوائد في ذكر عذاب الله جل وعلا لمن سبق : أن يعلم أن حق الله جل وعلا هو ما جاءت به الرسل ، وأن الرسل لهم آيات ، ومن آياتهم أن الله جل وعلا أظهرهم على أعدائهم ، فليس كل رسول قد أتى بآية مستمرة ولكن جل وعلا حين أيَّد الرسل بالآيات والبراهين جعل من ذلك أن يظهرهم على أعدائهم ، ولهذا ما من أحد ادعى النبوة وادعى

الرسالة إلا وأخبت الله دعوته ، وأخبت الله ادعائه فلم يظهر على شيء ، وإنما يتبع في طائفة قليلة وإما أن يستأصلوا وإما أن يبقوا ، لكن لا على شكل الظهور بل على جهة الإذلال والمحاربة من الناس ، فإذاً في ذكر العذاب آية للنبي الذي عُذب قومه . ولهذا عليه الصلاة والسلام حين قال في غزوة بدر سيهزم الجمع ويولون الدبر تذكر بهذا قوله في سورة القمر أم يقولون نحن جمع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذا من آيات الأنبياء فآيات الرسل متنوعة يعنى الدالة على صدقهم في رسالاتهم ومنها الظهور ، إذا نظرت في هذا الزمن مثلاً وجدت كثرة أتباع موسى عليه السلام من اليهود ، فنعلم به أن الله جل وعلا أظهر موسى على من عاداه في زمنه ، وهذا دليل على صدق رسالته ، وإذا نظرت إلى أتباع عيسى عليه السلام من النصارى وجدت أنهم كثرة وظهروا على من عاداهم ، وهذا دليل على صدق رسالة عيسى عليه السلام ، وهؤلاء يقولون نحن أتباع رسول ونبي وآخرون يقولون . وأتباع عيسى يقولون نحن أتباع رسول أو أتباع نبي من أنبياء الله ، ولا تنظر في هذا إلى أنهم حرفوا وبدلوا وخرجوا عن دين الرسول ، المقصود وجود الاتباع ووجود الظهور . كذلك محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام لما رفع الله ذكره فإن قومه وأتباعه ظهروا على الناس ، فلهذا كان من الآيات الظهور ، وهذه الآية نفعت في آية هود عليه السلام ، فإن كثيرين من أهل العلم قالوا ليس له آية إلا الظهور على قومه ، وذلك لأنه جل وعلا قال في سورة هود عن قوم هود وإلى عاد أخاهم

هودا قال فيها قالوا يا هود ما جئتنا ببينة *وما نحن بتاركي ءالهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض ءالهتنا بسوّء ذكر أكثر المفسرين أن آية هود هي مواجهته لهم وهو واحد أو معه قلة وأولئك كثرة ومعهم القوة والعتاد وإلى آخر ذلك فكانت آيته عليهم أن ظهر عليهم باللسان وقوي عليهم وواجههم وهو واحد ، ولهذا قال فيها إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم فإذاً فهنا قصص الأنبياء وما يذكر من العذاب له فوائد متنوعة ، وقد ذكر هذا طائفة من أهل العلم تارة في كتب علوم القرآن ، وتارة في القواعد العامة للتفسير .

هنا بالنسبة للمعنى واضح ما فيه إشكال وكم أهلكنا قبلهم من قرن القرن هو الجيل من الناس ، الجيل هو القرن ، بعض أهل العلم حدد مائة سنة لكن هذا تقريبي ، القرن هو الجيل ، جيل يتبع جيل لقوله عليه الصلاة والسلام (خير الناس قرني) يعني الذين قارنوه (ثم الذين يلونهم) يعني التابعين ولو لم يستمروا إلى مائة سنة .

س :

ج : النظر أحد ما تشمل الآية ، وهو أولاها ، أولها وأولاها لأن تفسير المزيد بالنظر ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام للذين أحسنوا الحسنى وزيادة   ولدينا مزيد قال الزيادة النظر لوجه الله الكريم وقد يكون غيرها لأن الآية فيها إطلاق ولدينا مزيد فيدخل فيه ما روى أبو سعيد في هذا

الحديث اللي مر معنا ، من المرأة الحور وأشباه ذلك .

س :

ج : ظاهر الإسناد أنه ما يصح لكن نقول رواه إبراهيم بن عمير أو عثمان بن عمير عن أنس يقول له طرق ، والحديث الآخر الذي مر معنا حديث الإمام احمد قال حدثنا حسن عن بن لهيعة ، الحسن عن بن لهيعة الصواب فيه أنه حديث حسن لأن الحسن بن الأشيب ، الحسن هذا شيخ الإمام احمد حسن الأشيب هذا دخل مصر وخرج منها على التحقيق قبل أن يختلط بابن لهيعة لهذا يكثر الإمام احمد من الرواية عن ابن لهيعة من طريق العبادلة ومن طريق الحسن الأشيب ، هذا معروف في ترجمة بن لهيعة وفي ترجمة الحسن وما بعده من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، هذه الترجمة مصرية ، ولهذا ابن كثير نبهك إلى أن هذه الترجمة وهذا الحديث معروف من حديث المصريين يرويه من ينتقي حديث المصريين ، ينتقي صحيح حديث المصريين وجيده وهو عمرو بن حريث لأن ابن وهب عمرو بن الحارث ابن وهب يروي عن عمرو بن الحارث جيد الحديث وعمرو بن الحارث أحد علماء مصر الكبار الذين اجتمع عندهم حديث المصريين ، المقصود تنتبه لأنه هذه الترجمة درَّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري لا يطلق القول بتضعيفها وإنما صححها طائفة من الأئمة في عدد من الأحاديث وابن كثير لمح إلى هذا حيث ذكر رواية الحسن عن ابن لهيعة ثم إنها رويت من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي

الهيثم عن أبي سعيد الخدري وهذه الترجمة رويت بها أحاديث كثيرة كحديث موسى عليه السلام (يا رب علمني شيئاً أدعوك وأذكرك به ..إلى آخره) وقد صحح إسناده الحافظ في الفتح لأنه من رواية ، صحح إسناده في النسائي لأنه من رواية ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، وعمرو بن الحارث ينتقي وابن وهب انتخب جيد حديث المصريين ، وهذا الحديث أو يعني وهذا الكلام ما نحب نطيل في الدروس به يعني علل الأحاديث والتراجم إلى آخره

طبعاً دراج عن أبي الهيثم هذه الأصل فيها الضعف .. دراج عن أبي الهيثم لكن منها ما هو صحيح انتُقي ..

﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ هذا أيضاً فيه مثال في أن الله ﷻ يذكر في كتابه خلق السماوات والأرض بعد بيان تكذيب الرسل وبعد المواعظ ، وذاك لأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس كما جاء في قوله جل وعلا ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ وإذا كانت كذلك فمعنى ذلك أنَّ إبادة الناس أو إهلاك الناس أو إعادة خلقهم أو أشباه ذلك أنها سهلة ، لهذا قال هنا ﴿وما مسنا من لغوب ﴾ يعني من إعياء ولا تعب ، فإذاً إهلاك الناس وإعادة بعثهم هذا من باب الأسهل والأهون كما قال جل وعلا ﴿ وهو الذي يبديء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض سبحانه وتعالى ﴾ .

اللي قرأنا قبل قليل يقول وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب تصير وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء يعني قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وكان ذلك الصلاة المفروضة ثم تبتديء وتقول ثنتان قبل طلوع على تقدير وهما ثنتان وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وكانت تلك الصلاة ثم تأتي ثنتان تصير خبر لمبتدأ محذوف هذا ظاهر الكلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . أما بعد :

ففي هذه الآيات قال الله جل وعلا فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وإدبار السجود الصبر الذي أمر به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخص به نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في القرآن على نوعين :

1ـ الصبر العام 2ـ والصبر الجميل .

والصبر العام معروف المعنى لديكم وهو الذي أمر به في هذه الآية بأن يصبر على ما يقولون ويدخل في معناه أنه لا يظهر الحزن وأن لا يكون عنده جزع لا باللسان ولا بالعمل على ما قالوا ، والصبر من الحبس ففيه حبس اللسان عن التشكي وحبس القلب عن الجزع وهذا مناسب لهذا الموضع ففي قوله جل وعلا هنا فاصبر على ما يقولون الصبر العام وهو أن يحبس القلب عن الجزع فيما قالوا

والحزن على ما قالوا ويحبس اللسان أن يقول شيئاً لا ينبغي تجاه أقوال المشركين .
(النوع الثاني) :هو الصبر الجميل وقد أمر به في مواضع في قوله جل وعلا : فاصبر صبراً جميلاً * إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ونحو ذلك والصبر الجميل هو أعلى مراتب الصبر في أن يكون القول حسن وأن يكون ما في القلب حسن لأن الأول فيه الحبس ، حبس اللسان عن التشكي ، أو عن مقابلة المشركين بما لا ينبغي وحبس القلب عن الجزع ، والصبر الجميل مرتبة عليا في أنه لا يحبس فقط بل يحبس ويقول الجميل وكذلك لا يحبس الجزع فقط بل يحبسه عن الجزع ويظن الظن الجميل بالله فلا يحزن ولا يقنط ولا ييأس كما قال جل وعلا في آيات فلا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون وأشباه ذلك وهذا هو مقام المتقين ومقام أولي العزم من الرسل كما قال جل وعلا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل * ولا تستعجل لهم يعني الصبر الجميل وهذا لا يكون إلا عند أولئك الذين عَمَرَ الله جل وعلا قلوبهم بمحبته ومعرفة أسمائه وصفاته فيكون صبرهم كأنه بلا مبالاة لوثوقهم بما عند الله وحسن ظنهم بالله وأن اطمئنانهم للإيمان جعلهم لا يضطربون في قول ولا في عمل ولا في حركة قلب وهنا في هذه الآية أمر بالصبر على ما قالوا ، لأن ما قالوه هو الذي كان في معاني أو في مقاصد هذه السورة في ردهم للرسالة وتكذيبهم بالبعث بعد الموت .
وأما التسبيح فهو زاد الصابر ، لأن الصبر بلا عبادة ولا إقبال على الله هذا قد يضعف ويضعف حتى

ينعدم فإذا صبر العبد وصبَّر نفسه وأقبل على عبادة الله ثبت على ذلك الصبر وحسن ظنه بربه وأقبل عليه بكلِّيته وبجماع أحوال قلبه فاستقام على الصبر وعلى مقتضاه فلهذا أمر بالتسبيح بعد الصبر لهذا الغرض وقال جل وعلا هنا وسبح بحمد ربك والتسبيح بحمد الله يكون على أنحاء منها أن يسبح قارناً التسبيح بالحمد متصلاً به ، يعني يقول مثلاً (سبحان الله وبحمده سبحان الله وبحمده سبحان الله وبحمده) وهذا هو ظاهر الآية لأنه قال وسبح بحمد ربك يعني سبح تسبيحاً مقترناً بحمد ربك وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، ويكون المعنى هنا : أسبح الله جل وعلا حامداً له .
والصورة الثانية : أن يكون التسبيح مستقلاً والحمد مستقلاً فيقول : سبحان الله ، سبحان الله ، سبحان الله ثم الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله أو يقرن بينهما بالواو سبحان الله والحمد لله ، سبحان الله والحمد لله ..إلى آخر ذلك .
والصورة الثالثة : فيما يكون فيه التسبيح بالحمد أن يكون مصلياً ، لأن الصلاة فيها حمد الله جل وعلا والثناء عليه وفيها تسبيحه فيبتدئ الصلاة بالحمد ثم يسبح في الركوع ثم يسبح في السجود وهكذا ، ولهذا اختلف السلف فيما سمعت من التفسير اختلفوا في التسبيح هنا قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هل المراد به الصلاة ؟ أم المراد به التسبيح الذي ذكر سبحان الله ، سبحان الله يعني القول وأشباه ذلك وهذا مرده إلى النظر إلى بعض جهاته ، فأعلى ما يكون به التسبيح بحمد الله جل

وعلا وهو التسبيح الواجب بالصلاة ، لأنه هنا أمر به قال : وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فإذا كان من أنحاء التسبيح وهو النوع الثالث التسبيح والحمد في الصلاة وكان مأموراً به هنا ، والأمر للوجوب فيفسر التسبيح بما هو واجب في الشرع وهو الصلاة ولهذا ذهب من ذهب أن المراد بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود أنها الصلاة لأنه مأمور به والتسبيح الآخر إنما هو مستحب وليس واجباً ومأموراً به أمر استحباب فمن نظر أن الأمر هنا أمر للوجوب جعل التسبيح هنا في قوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أنها الصلاة المفروضة

ومن نظر أنه التسبيح المستحب فجعل ذلك الصلاة النافلة أو التسبيح المعروف ، والظاهر من سياق الآية أن التسبيح هنا المأمور به يشمل الواجب والمستحب فيشمل الصلاة الفرض الفجر والعصر ، والليل يشمل المغرب والعشاء ويشمل أيضاً الصلاة النافلة كما مر معك ويشمل أيضاً قول سبحان الله ، سبحان الله وقول الحمد لله ، الحمد لله .. إلى آخر ذلك .

لأن الأمر قد يكون للوجوب وقد يكون للاستحباب فصرفه إلى الواجب دون غيره هو بعض أفراده ومن المتقرر في أصول التفسير أن اللفظ يصرف في التفسير إلى جميع أفراده إلا بدليل فإذا كان ثم دليل على الاقتصار على بعض الأفراد ساغ القصر وإذ لم يكن ثم دليل فيُبقى اللفظ على عموم ما تدل عليه ألفاظه ، والتسبيح والحمد متكاملان فاصبر على

ما يقولون وسبح بحمد ربك التسبيح تنزيه الله جل وعلا عن النقائض تنزيه الله جل وعلا عن النقص ، والحمد إثبات الكمال لله جل وعلا والثناء عليه بأنواع الكمالات وفي التسبيح والحمد يكون التنزيه وإثبات الكمالات بخمسة أشياء دلت عليها آي القرآن والسنة الصحيحة فمنها :ـ

الأول : التنزيه عن النقائض وإثبات الكمالات للرب جل وعلا في ربوبيته لخلقه وهذا تم فيه تفصيل .

الثاني : تنزيه الله جل وعلا عن النقائض وإثبات الكمالات له في استحقاقه للعبادة وحده دونما سواه وهذا في الألوهية .

الثالث : في الأسماء والصفات تنزيه الله جل وعلا عن النقائض في أسمائه وصفاته وإثبات الكمالات له الكمال المطلق في ذلك .

الرابع : تنزيه الله جل وعلا عن النقائض ، وإثبات الكمالات له في أمره الديني وشرعه المنزَّل .

الخامس : تنزيهه عن النقائص وإثبات الكمالات له في أمره الكوني وفي قضائه وقدره وهذه في كل منها آيات من القرآن في التسبيح وفي الحمد فإذا نظرت مثلاً إلى قول الله جل وعلا الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هذا ثناء على الله جل وعلا راجع إلى الكمالات في أي شيء في إنزال الكتاب وهو النوع ايش ؟

الرابع فيما ذكرت ، يعني الأمر الديني والشرعي قال فادعوه مخلصين له الدين في سورة غافر مثلاً فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين هذا في استحقاقه للعبادة دونما سواه .

 الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور هذا في الربوبية وهكذا في أشياء في التسبيح والحمد .
التسبيح والحمد متكاملان ، التسبيح تنزيه عن النقائض ، إذا قلت سبحان الله معناه أنك تقول لربك تنزيهاً لك يا ربي عن أي نقص ، فتنزه الله جل وعلا عن النقص في الربوبية من أن يكون معه شريك أو أنه لا يحسن تدبير هذا الكون أو أنه يقع في ملكه ما لا يشاء وأشباه ذلك ، وتثبت له الكمال في هذا وهو كمال اتصافه بالربوبية والألوهية إلى آخر ذلك فالتنزيه هو التسبيح وإثبات الكمال هو الحمد ، الناس قصروا يعني العامة ، قصروا الحمد على بعض النوع الخامس ، النوع الخامس ، الحمد لله يعني الثناء على الله على أمره الكوني وقضائه وقدره فهم إذا جاءهم ما يسرهم قالوا : الحمد لله ، وإذا جاءهم ما لا يسرهم قالوا : الحمد لله وهذا بعض ذلك النوع ، لكن طالب العلم والمؤمن إذا قال : الحمد لله ، فإنه يثني على الله جل وعلا بما هو أهله في هذا جميعاً ، وهذا يزداد بازدياد العلم وبمعرفة آي القرآن وما أثنى الله جل وعلا به على نفسه .
اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض وما فيهن في دعاء صلاة الليل ، اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض هذا ثناء على الله جل وعلا بما يستحقه من الأسماء والصفات ومعاني الربوبية إلى آخر ذلك ، وهذا البحث يطول
من فوائد هذه الآية ، أن الأوراد المعروفة ، التسبيح والأذكار التي تكون قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

على ظاهر الآية تكون بعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس وتكون قبل صلاة المغرب ، وهذا هو الذي عليه عمل المسلمين فيما مضى فإنهم يأتون إلى المساجد للورد أو يوردون في بيوتهم قبل صلاة المغرب يعني قبل آذان المغرب ، قبل غروب الشمس وهذا هو الأفضل ويجوز أن تكون بعد صلاة العصر التسبيح والأوراد ويجوز أن تكون بعد صلاة المغرب ولكن الأفضل أن تكون قبل غروب الشمس فينتهي قبل الغروب بقليل أو مع الغروب ينتهي من ورده لظاهر الآية فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وفي آية سورة طه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبحٍ وأطراف النهار لعلك ترضى ، من فوائد الآية أيضاً أن التسبيح والحمد واجب من واجبات الصلاة ، لأن التعبير عن العبادة ببعضها يدل على وجوب ذلك البعض كما هو مقرر في أصول الفقه .

 واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج * إنَّا نحن نُحيي ونميت وإلينا المصير * يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشرٌ علينا يسير * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد الآيات ظاهر معناها ما فيه إشكال إلا في قوله وما أنت عليهم بجبار ومعلوم أن جبار صيغة مبالغة من جابر ، وجبر معناها غير أجبر واسم الفاعل من جبر جابر وصيغة المبالغة من جبَّار وأجبر على الشيء يعني ألزم به واسم الفاعل مُجبر أجبره يُجبره فهو مُجبِر عليه واسم المفعول مُجبَرًَ عليه ، ولهذا وقع الإشكال هنا في جبَّار ففسرت بعدة

تفاسير مثل ما رأيت فمنهم من قال جبار وما أنت عليهم بجبَّار يعني بمتكبر عليهم ومتجبر عليهم ، لأنه نظر إلى أنها الثلاثي جبر عليهم يعني تعاظم عليهم ، أو تجبر وتكبر عليه والمعنى الثاني : إذا كان من أجبر يجبر فهو مجبر يكون من الإجبار وما أنت عليهم بجبار يعني وما أنت لهم بملزم وهذا المعنى هو الذي يناسب الآية يكون جبار هنا بمعنى مُجبِر كما ذكر ، وقال الفراء إنه سمع العرب تقول : جبر يعني :ألزم جبر يعني أجبر فيكون هنا في معنى الإجبار الذي هو الإلزام يكون فيه من الثلاثي ومن الرباعي جبر وأجبر بمعنىٍ في الإلزام يعني بمعنى واحد في الإلزام وهذا هو الأولى لسياق الآية ، وليس المعنى المتكبر والمتجبر عليهم ولو كانت دلالة اللفظ ثلاثية فيه لأن السياق دل على المعنى الثاني وهو أن الجبار هو الملزم يعني وما أنت عليهم بجبار ما أنت بملزمٍ لهم ومجبرٍ لهم على ذلك قوله جل وعلا فذكر بالقرآن نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فحصره في التذكير عليه الصلاة والسلام وهذا يعني أنه ليس بملزم كما ذكر الآيات فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر   إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فإذاً الإجبار ليس إلى الداعية ليس إلى الرسل عليهم صلوات الله وسلامه هذا إلى الله وإنما وظيفتهم التذكير بما أمر الله جل وعلا به فهذا تنتبه أحياناً يكون خلاف في تفسير الآية راجع إلى النظر اللغوي فإذا كان عند طالب العلم نظر في اللغة فهم وجه

الاختلاف في التفسير ثم يكون هناك بعد ذلك الترجيح .
وفي أسماء الله جل وعلا الجبار، والجبار في أسماء الله جل وعلا يشمل المعنيين الذين ذكرا هنا ، ومعنى ثالثاً أيضاً الجبار في أسماء الله هو المتكبر المتعاظم والجبَّار جل وعلا بمعنى الملزم النافذ أمره لا يُرد يعني المقصود الأمر الكوني والجبار وهو المعنى الثالث مأخوذ كما قالوا : من النخلة الجبارة : أي العالية في السماء فمعنى الجبار في أسماء الله جل وعلا في هذا المعنى الثالث أي ذو العلو يعني العالي سبحانه وتعالى ، وهنا ذكر القولين في وما أنت عليهم بجبار وهي واقعة في حق الله جل وعلا ، جبار بمعنى متعاظم متكبر سبحانه وتعالى ، وجبار بمعنى ملزم بأمره الكوني لا أحد يفر من أمره الكوني ولا يختار ما كان لهم الخيرة وجبار بمعنى العالي سبحانه وتعالى ، هنا فذكر بالقرآن من يخاف وعيد التذكير والإنذار جاء في القرآن عاماً وجاء خاصاً .
 فذكر بالقرآن من يخاف وعيد مثل الإنذار قال إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب   إنما تنذر من اتبع الذكر فالتذكير تارة يكون عاماً فذكر إنما أنت مذكر   ذكرى للبشر وتارة يكون خاصاً بأهل الإيمان وأهل الخوف وهذا لأجل أنهم هم المنتفعون به ، فتخصيص الإنذار والتذكير في المؤمنين في آيات كثيرة بسبب أنهم هم المنتفعون به عند أهل السنة وليس لأجل أنه أجبرهم على الإيمان أو جعلهم يلتزمون به جبراً بل الإنذار عام

واختص بالمؤمنين لأنهم هم الذين استفادوا به ، استفادوا منه وأفادوا منه .

*****

الأسئلة

س : يقول قول بعضهم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب خرج على الدولة العثمانية هل هذا صحيح ؟

ج : الجواب : إن هذا ليس صحيح ، لأن نجداً منذ سنة ست وخمسن ومائتين قد خرجت عن حكم الدولة العباسية تولتها دولة يقال لها دولة الأخيضرية وربما كانوا من الشيعة أو من الزيود فخرجت عن السلطة ولم تطمع فيها الدولة العباسية أصلاً ولم ترسل لها أحداً لما حصل لهم من التفرق والاختلاف والضعف لأن نجد ليس فيها مطمع في ذلك الحين ، ثم توالت الإمارات والدول على عدم الطلب من أهل نجد أن يدخلوا في السلطان وكانت لهم إمارات ودول مستقلة من سنة مائتين وست وخمسين إلى أن انقضت الدولة الأخيضيرية نحو سنة خمسمائة تقريباً ثم بعد ذلك توالت الدول أو الدويلات الصغيرة أو الإمارات الصغيرة ، وكل من أنشأ بستاناً أو مزرعة وجمع الناس حولها صار أمير ، البلد والقرى إلى آخر ذلك ، فأتى لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على هذا الواقع وهي أن الدول والإمارات في نجد ليس لها ارتباط بالدولة العثمانية ، وليست الدولة العثمانية تعطيها وتنفق عليها وأيضاً لا تطلب من أمرائها خراجاً ولا تطلب منهم بيعة إلى

غير ذلك بل هي متروكة لعدم رغبتهم فيها فليس فيها مال وليس في أهلها مطمع بل هي بلدان صغيرة متفرقة فجاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب على هذا والواقع للعيينة أمير ولحريملاء أمير وللجبيلة أمير وللدرعية أمير وللرياض أمير ولمنفوحة أمير وللخرج أمير ..إلى آخره ، كل واحد منها لها إمارة مستقلة وطاعة مستقلة فدعى في هذا الأمر ثم قامت الدولة السعودية الأولى على التوحيد وانتشرت بعد ذلك بعد بيعة شرعية صحيحة هذا حقيقة الأمر أما قول من قال إنه خرج على الدولة العثمانية ، فهذا غير معروف عند علماء الدعوة أصلاً لعدم دخول نجد تحت الولاية العثمانية في ذلك الزمن .

س : ما حكم تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام ؟

ج : ليلة النصف من شعبان جاء فيها أحاديث كثيرة في بيان فضلها وهذه الأحاديث منها ما هو ثابت ومنها ما هو ضعيف ، وبعض السلف خصها بقيام من بين الليالي لما فيها من الفضل ، لكن المعتمد هو ما عليه عامة السلف وجمهور الصحابة ، بل لا يعرف من الصحابة من قام ليلة النصف من شعبان وأنها إن كان فيها فضل بما ورد في الأحاديث الثابتة فهذا لم يشرع له تخصيص عبادة ، لا قيام ليلتها ولا صيام نهار النصف من شعبان ، ومما ذكر في فضيلتها أنها ليلة نزول الأقدار وليلة اختتام الأقدار فليلة القدر بها يبدأ القدر للسنة المقبلة وليلة النصف من شعبان قالوا بها يختتم القدر ، يعني من حيث العمل وينزل قدر الليلة قدر السنة المقبلة ، ويكون التقدير في

ليلة القدر من رمضان ، وهذا يقوله كثيرٌ من أهل العلم ولكن من حيث التحقيق لا يحسن اعتماده لأن ظاهر الآيات على خلاف هذا .

س : هل التمائم من القرآن محرمة ، أو من الشرك الأصغر ، وإذا كانت من الشرك الأصغر فكيف نفهم كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد في باب ما جاء في الرقى والتمائم أن بعض السلف رخص فيها ؟ كيف يرخصون بشيء فيه الشرك الأصغر ؟

ج : الجواب أن هذه المسألة معروفة وأن التمائم من القرآن ينظر إليها من جهتين :

الجهة الأولى : جهة التعليق والجهة الثانية جهة المعلق فمن حيث النظر إلى التعليق فإن الاعتقاد في التميمة في أن التعليق من حيث هو تعليق نافع ويرد البلاء أو يرفع البلاء هذا شرك أصغر لأنه من تعلق شيئاً وكل إليه فالتعليق في ذاته ليس سبباً مشروعاً وليس سبباً أيضاً كونياً للتداوي لا للرفع ولا لدفع البلاء قبل وقوعه .

والجهة الثانية : جهة المعلق الذي هو القرآن فالسلف كانوا ، كان منهم من يرخص في استعمال القرآن للدفع لأنه رقية ، والقرآن يرقى به بالنص وجائز الرقية به ، فمن جهة النظر إلى القرآن لا يقال إن اتخاذ القرآن تميمة بدون شرك أصغر وهذا هو الذي تكلم فيه السلف ، أما إذا تعلق واعتقد في التعليق مع المعلق هذا شرك أصغر وهذا لم يكن عند السلف ولهذا رخصوا في القرآن لا من جهة الاعتقاد في التعليق ، من ذلك لأن هذا شرك أصغر وإنما من جهة أن القرآن إذا جمل فإنه أبلغ في

الرقية ، بحسب اجتهادهم وهذا غير صحيح كما هو مقرر في موضعه ، فإذاً المسألة تدور على هذين الحالين : ـ
1ـ إذا كان المعلق للتميمة من القرآن يعتقد في القرآن دون التعليق فنقول لا يجوز له ذلك على الصحيح .
2ـ وإذا كان يعتقد في التعليق والمعلق جميعاً نقول : اعتقاده في التعليق شرك أصغر لأن التعليق ليس سبباً مشروعاً وليس سبباً نافعاً لا في الشريعة ولا سبباً كونياً نافعاً .
وهذا تحقيق المقام فالسلف لا يبيحون شيئاً من الشرك الأصغر ولا يختلفون فيه
س : هل دعاء الله عند القبر بدعة أم شرك ؟
ج : دعاء الله عند القبر بمعنى أنه يأتي إلى قبر صالح أو من يعتقد فيه ويدعوا الله عنده لظنه أن الدعاء في هذا المكان له فضيلته أو مجاب أو نحو ذلك من الأسباب فنقول : تخصيص بعض القبور بالدعاء عندها لفضيلة أصحابها ، أو لعبادتهم أو ولايتهم أو ما أشبه ذلك هذا بدعة لأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يقصدوا قبور شهداء أحد ولا قبور السابقين الأولين الذين ماتوا في عهد النبي ودعوا عندها وهؤلاء أحياء أعني الشهداء وهم أفضل هذه الأمة لسابقتهم ولموتهم في سبيل الله فامتناع الصحابة عن ذلك دليل على أن تخصيص بعض القبور بالدعاء عندها لظن المخصص أن الدعاء عندها مستجاب هذا بدعة ولكن ليس شركاً لأنه ما دعى إلا الله وحده ، فإذا دعا الله وحده عند قبر

نقول هذا بدعة ولا يجوز ووسيلة إلى الشرك باعتقاد في أصحاب القبور .

س : ما نصيحتكم لطلبة العلم الذين زهدوا في تعليم علم النحو ؟

ج : لا علم شر عياً إلا بنحو لأن العلم الشرعي عربي تفقه النصوص في الكتاب والسنة وتعبر عن فهم السلف لها وفهم العلماء لها ، وهذا لا يكون إلا بفهم اللغة ، وأول درجات فهم اللغة فهم النحو ، تفهم معاني الكلام إذا تركب فمن لم يفهم النحو لا فهم له في الشريعة .

س : ما رأيكم في الدولة العثمانية ؟ هل إذا كانت الدولة فيها شرك فهل ولاء مثل دولة المسلمين التوحيد ؟

ج : على العموم الكلام في الدولة العثمانية فيه رسائل لبعض أئمة الدعوة فيها وعلماء الدعوة تكلموا عن العساكر التركية العثمانية التي هاجمت أهل التوحيد ودرست معالم التوحيد في ديار أهله ، وقتلت أهل التوحيد وساقت من ساقت إلى مصر أو إلى تركيا وقتل هناك من قتل ، فهذه العساكر التركية التي أعلت رايتها لقتال أهل التوحيد في عقر دارهم هذه يكفرها أئمة الدعوة ، الذين قاتلوهم أهل الرايات فيشهدون على من قتل منهم بالنار ، لأنهم قاتلوا تحت راية شركية لدحر التوحيد وقتل أهله .

أما الدولة العثمانية فليس يعني في عمومها فليس أئمة الدعوة من المكفرين لها بإطلاق لكن من المعلوم أن حال الدولة العثمانية الثلاثة قرون الأولى لها شأن ومنذ عهد سليمان القانوني وما بعده بدأ دخول القوانين الإفرنجية فيها ودخول أيضاً الصوفية

وأشياء كثيرة مما حصل لهم ، فكلام أئمة الدعوة من جهة الكفر في العساكر التركية ، ولهذا تجد في كتبهم ينصون العساكر التركية العساكر التركية يعني حتى لا يعمم الحكم .

س : بعض طلاب العلم جعل نفسه حكماً على العلماء الراسخين في العلم يخطئ بعضهم ويصوب بعضهم ممن هو أو يصَّوب غيرهم ممن هو أدنى فما نصيحة فضيلتكم لمن هذا حاله وفقكم الله ؟

وأسأل الله جل وعلا التوفيق للجميع .

ج : هذه المسألة لا شك أنها من آثار ضعف العلم لأن طالب العلم إذا تعلم دان بالفضل لأهله واحتقر نفسه عند الراسخين في العلم لأنه يُجل العلم ، أما إذا كان العلم عنده لا شيء ليس له تلك القيمة في نفسه فإنه سيتجرأ كثيراً فكلما كان المرء أكثر علماً كان أكثر عملاً وكان أكثر توقيراً لأهل العلم .

مثلاً : أنظر بعضهم تكلم في بعض الأئمة كأبي حنيفة رحمه الله وكغيره من بعض السلف أو من تبعهم السلف نعني به المتقدمين بينما إذا نظرت إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، العالم الإمام شيخ الإسلام فلا تجد في كتبه قدحاً في أبي حنيفة أكان يخفى عليه ما قيل فيه ؟ لا بل هو معروف بل صنف كتابه المعروف رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، من هم ؟

احمد والشافعي ، ومالك ، وأبوحنيفة ، فأهل العلم ولا يزهِّدون الناس فيهم ينشرون محاسنهم ويطوون ما يظن أنه نقص في حقهم لأنه من المعلوم أنه ليس من شرط العالم أن يكون مصيباً في كل مسألة ، أو أن يكون تقياً في كل مسألة ، ليس هذا

من شرط العالم ، إنما هذه كمالات النبوة ، أما العلماء فإذا كان صوابهم أكثر وكان نفعهم أكثر فهم العلماء ، وهكذا أهل العلم في كل زمانٍ يعني أهل العلم المتابعين لطريقة السلف دائماً يكون خطؤهم قليلاً بجانب صوابهم وإذا كان كذلك فإن طالب العلم ينشر محاسن العلماء ، وإذا وقع في نفسه شيء مما لم يصيبوا فيه أو يظن أنهم لم يصيبوا فيه إما أن يراجعهم في ذلك ويستفسر ، أو أن يترك قوله لقولهم ، إذا أجمعوا على شيء أو اتفقوا عليه أو يذهب إلى قول بعضهم بدليله هذا الذي ينبغي ، أما نشر أخطائهم فهذا جناية على الشريعة بعامة لأنك إذا زهدت الناس في العلماء فمن يتبعون ؟ يوشك أن يأتي الزمان الذي وصفه عليه الصلاة والسلام بقوله (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالماً) وفي رواية حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) هم اتخذوا رؤوساً لم ؟ لأن هذه الرؤوس ظنوا فيها العلم لكن في الحقيقة هم جهال فسئلوا ، لأنهم ظُنَّ أنهم من أهل العلم فأفتوا فضلوا وأضلوا ولهذا ربط الناس بالعلماء بذكر مزاياهم بذكر فضائلهم بذكر بذلهم بذكر جهادهم بذكر ما يعملونه للمسلمين ، هذا ينشر الشريعة ويزيد من تعلق الناس بأهل العلم والاقتداء بهم وسؤال أهل العلم عما أشكل ، والتزهيد في العلماء أو انتقاص العلماء أو ذكر أخطائهم والعالم كما ذكرت ليس من شرطه أن لا يكون مخطئاً بل قد يخطئ لكن نشر هذا يزهد الناس فيهم فيبقى

في الناس نشر الأخطاء والناس مولعون دائماً بنسيان الفضائل وذكر المثالب
من القديم فإذا رأوا سُبة طاروا بها فرحاً وإن يجدوا صالحاً فله كتموا مثل ما قال الأول . إذاً فالواجب على طلاب العلم أن يحسنوا الظن بأهل العلم وأن يأخذوا منهم فهم الشريعة لأنه بذلك يحصل الخير في الأمة .

س : استدل بعض القبوريين على جواز البناء على القبور لأن النبي دفن في حجرة عائشة فكيف الجواب على هذه الشبهة ؟

ج : دفن عليه الصلاة والسلام في حجرة عائشة نعم لكن حجرة عائشة كانت قبل القبر ، وحجرة عائشة مفتوحة وهي إلى الآن مفتوحة إلى الأعلى والسقف العلوي هذا سقف المسجد .